منزلة الإخلاص في الكتاب والسنة

أولا - القرآن الكريم:

العِبَادَةُ كُلّهَا دِقُّهَا وجُلُّها مَبْنِيَّةٌ عَلَىٰ أمْرَيْنِ أَسَاسِينِ هُمَا الإِخْلاصُ والْمُتَابَعَةُ.

قَالَ اللّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - : ﴿ فاعبد الله مخلصا له الدين (٢) ألا لله الدين الخالص ﴾ [الزُمر: ٢، ٣].

قال ابنُ العربي - رحمه الله - : «أَمَرَ اللّهُ عِبَادَهُ بِعِبَادَتِهِ، وَهُوَ أداءُ الطَّاعَةِ لَهُ بِصِفَةِ القُرْبَةِ، وذَلِكَ بإِخْلاصِ النِّيَّة بتَجْرِيد العَمَل عَنْ كُلِّ شَيْءٍ إلاَّ لِوَجْهِه، وذَلِكَ هُوَ الإِخْلاصُ»(١).

---

(١) «أحكام القرآن» لابن العربي (٤/ ٤٣٧).

OBEIKAN.COM

وَقَالَ اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ –: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢)﴾

[الأنعام: ١٦٢].

قَالَ السَّعْدِيُّ – رَحِمَهُ اللهُ –: «العِبَادَاتُ كُلُّهَا سَوَاءٌ كَانَتْ بَاطِنَة كَمَحَبَّةِ اللهِ وَتَعْظِيمِ مَا عَظَّمَهُ؛ أو مَا كَانَتْ ظَاهِرَةً؛ كَالقِيَام بالشَّرَائِعِ الظَّاهِرَة، وسَوَاءٌ تَعَلَّقَتْ بِحُقُوقِ اللهِ المَحْضَة أَو تَعَلَّقَتْ بِحُقُوقِ الخَلْق. كُلُّ ذَلكَ لابُدَّ فيه مِنَ الإِخْلاصِ للهِ والمُتَابَعَةُ لِرَسُولِ اللهِ – ﷺ –؛ فَمَنْ جَمَعَ اللهُ لَهُ الأَصْلَيْن أَفْلَحَ وسَعدَ، وَمَنْ فَاتَهُ الأَمْرَانُ أَوْ أَحَدٌ مِنْهُمَا خَسَرَ خُسْرَانًا مُبِينًا؛ فلا أَنْفَعُ للعَبْدِ مِنْ جَعْلِ الإِخْلاصِ والمُتَابَعة نُصْبَ عَيْنَيْه في كُلِّ مَا يَقُولُ وَيَفْعَلُ؛ حَتَّىٰ يَكُونَ الإِخْلاصُ لَهُ نَعْتًا، والمُتَابَعَةُ لَهُ وَصْفًا، وتَضْمَحِلُّ عَنْ قَلْبِهِ جَمِيعُ المَقَاصِدِ والأَغْرَاضِ المُنَافيَة للإِخْلاصِ»(١).

(١) «مجموع الفوائد واقتناص الأوابد» للسَّعديِّ (١٧).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -: ﴿ قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي (١٤) ﴾ [الزمر: ١٤].

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (٥) ﴾ [البينة: ٥].

قَالَ السَّعديُّ - رَحِمَهُ اللهُ -: « فَأَخْبَرَ أَنَّ صَلاحَ الأَعْمَالِ وفسادها بالنِّيَّات، وأَنَّهُ يَحصلُ للعَبْدِ مِن الثَّمَرَاتِ والنَّتَائج بِحَسَبِ نيَّتِه؛ وَمَعْلومٌ أَنَّ جَمِيع العِبَادَات لا تصِحُّ إلاَّ بالنِّيَّة، ثُمَّ لابُدَّ مَع ذَلكَ أَنْ يَكُونَ الْقَصْدُ مِنْهَا وَجْهَ اللهِ وثوابَهُ، ومَقْصُودُهُ بِهَا وَجْهَ اللهِ، والتَّقَرُّبَ إِليْه، وَطَلَبُ رِضَاهُ، واحْتِسَابُ ثَوَابِه، والقِيَامُ بِمَا فَرَضَهُ وأَحَبَّهُ اللهُ لِعَبْدِه »(١).

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -: ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الملك: ٢].

---

(١) « الرياض الناظرة » للسَّعديِّ (٢٢١).

قَالَ الفُضيلُ بنُ عِياض: هو أخْلصُهُ وأَصْوبُهُ. قالوا: يا أبا عليّ، ما أَخْلَصه وأَصْوبُهُ؟.

فقَالَ: «إنَّ العَمَلَ إذَا كَانَ خَالِصًا وَلَمْ يَكُنْ صَوَابًا لَمْ يُقْبَلْ، وإذا كَانَ صَوَابًا وَلَمْ يَكُنْ خَالِصًا لم يُقْبَلْ، حَتَّىٰ يَكونَ خَالصًا صَوَابًا.

والخَالِصُ أَنْ يَكُونَ للهِ، والصَّوابُ أَنْ يَكُونَ عَلَىٰ السُّنَّة، ثُمَّ قَرأَ قَوْلَهُ - تَعَالَىٰ - : ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠)﴾ [الكهف: ١١٠][١].

قَالَ السَّعديّ - رَحِمَهُ اللهُ - فِي مَعْنَى الآيَةِ: «أي لا يُرائي بِعَمَلِه، بَلْ يَعْمَلْهُ خَالِصًا لِوَجْهِ اللهِ - تَعَالَىٰ - ، فَهَذَا الَّذي جَمَعَ بَيْنَ الإِخْلاصِ والمُتَابَعَةِ، هوَ الَّذي ينالُ

---

(١) «حِلْيَةُ الأَوْلِيَاء» (٨/ ٩٥)، و«تفسير البغويّ» (٨/ ١٧٦)، و«جامعِ العلوم والحكم» (١/ ٧٢).

مـا يَرْجـو وَيَطْلُب، وأَمَّـا مَنْ عَـدَا ذلك، فإِنَّهُ خَـاسِـرٌ في دُنْيَـاهُ، وأُخْـرَاهُ، وقَـدْ فَـاتَهُ القُـرْبُ مِنْ مَـوْلاهُ، ونَـيْلُ رِضَاهُ» (١).

وَقَـالَ اللَّهُ – سُبْحَـانَهُ وَتَعَـالَىٰ –: ﴿ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن﴾ [النساء: ١٢٥].

قَـالَ ابْنُ القَـيِّمِ – رحِـمَـهُ اللَّهُ –: «فَـإِسْلامُ الْوَجْـهِ: إِخْلاصُ القَـصْـدِ والعَـمَلِ للَّهِ، والإِحْـسَانُ فيه: مُـتَابَعَةُ رَسُولِ اللَّهِ – ﷺ – وسُنَّته» (٢).

وَقَالَ اللَّهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ –: ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا (٢٣)﴾ [الفرقان: ٢٣].

قَالَ ابنُ القَيِّمِ – رَحِمَهُ اللَّهُ –: «وهي الأَعْـمَالُ الَّتي كَانَتْ عَلَىٰ غَيْرِ السُّنَّةِ، أَوْ أُرِيدَ بِهَا غَيْرُ وجْهِ اللَّهِ» (٣).

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» للسَّعديّ (٣ / ١٩٠).

(٢) «مدارج السالكين» (٢ / ٣١٠).

(٣) المرجع السابق (٢ / ٢١١).

OBEIKAN.COM

ثانيًا - السُّنَّة الصَّحيحة:

الأَدلَّةُ مِنَ السُّنَّة عَلَىٰ مَنْزِلَة الإخْلاص أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَرَ، وسَوفَ أَكْتَفي بحَديثٍ وَاحدٍ عَلَيْه مَدارُ الدِّينِ كَمَا ذَكَر ذَلكَ جَمْعٌ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ.

عَنْ عُمَر بن الخطَّاب - رضي الله عنه - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - يَقُولُ: «**إنَّمَا الأَعْمَالُ بالنِّيَّات، وإنَّما لكُلِّ امْرِيءٍ مَا نَوَىٰ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إلَىٰ اللهِ وَرَسُولِه؛ فَهِجْرَتُهُ إلَىٰ اللهِ وَرَسُولِه، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إلَىٰ مَا هَاجَرَ إلَيْه**»(١).

وهَذَا الحَديثُ يُبَيِّنُ مَنْزِلَةَ الإخْلاصِ مِنَ الدِّينِ، فَهُوَ مِنَ الأَحَاديثِ الَّتي يَدُورُ الدِّينُ عَلَيْهَا، كَمَا ذَكَر ذَلكَ ابنُ رَجَب - رَحِمَهُ اللهُ - »(٢).

---

(١) رواه البُخاريُّ (٥٤)، ومُسْلمٌ (١٩٠٧).

(٢) جامع العلوم والحكم (٢٩).

وفيما يأتي كلامُ العُلَمَاء عَنْ هَذا الحديث:

قال الشافعيُّ - رحمه الله -: «هَذا الحديثُ ثُلُثُ العِلْمِ[(١)]، ويَدْخُلُ في سَبْعِينَ بَابًا مِنَ الفِقْه»[(٢)].

وقال الإمامُ أحمد - رحمه الله -: «أُصُولُ الإِسْلامِ عَلَىٰ ثَلاثَة أَحَاديث: حَديث عُمَر بْنُ الخَطَّاب - رضي الله عنه -: **«إِنَّمَا الأَعْمَالُ بالنِّيَّات»**، وحَديث عَائِشَةَ: **«مَنْ أَحْدَثَ في أَمْرِنَا هَذا مَا لَيْسَ مِنْهُ، فَهُوَ رَدٌّ»**، وحَديث النُّعْمَانُ ابْنُ بَشيرٍ: **«الحَلالُ بَيِّنٌ والحَرَامُ بَيِّنٌ»**[(٣)].

---

(١) بل إنه رُوِيَ عنِ الشَّافعيِّ - رحِمَهُ اللَّهُ - قوله: «يدخل فيه نصفُ العلم». نَقَلَ ذَلكَ القسطلاني في «إرشاد الساري» (١/ ٥٦)، وعلَّقَ عليه بقوله. ووجه ما قالهُ: «أنَّ للدين ظَاهرًا وباطنًا»، والنِّيَّةُ مُتعَلِّقَةٌ بالباطن، والعملُ هو الظَّاهرُ، والنِّيَّةُ عبوديَّة القلب، والعَمَلُ عبوديَّة الجوارح».

(٢) «مناقِب الشَّافعيِّ» للبيهقيِّ (١/ ٣٠٢).

(٣) أخرجه أبو يعلىٰ في «طبقات الحنابلة» (١/ ٤٧).

OBEIKAN.COM

وَقَالَ النَّوَوِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ - عَنْ هذا الحَدِيث:

« حَدِيثٌ صَحِيحٌ مُتَّفَقٌ عَلَىٰ صِحَّتِه، مجمعٌ عَلَىٰ عِظَمِ مَوْقِعِهِ وَجَلالَتِه، وهَذا إِحْدَىٰ قَواعِد الإيمان، وأَوَّلُ دَعَائِمِه، وآكدُ الأَرْكَانِ .. وهوَ أَحَدُ الأَحَادِيثِ الَّتي عَلَيْهَا مَدَارُ الإِسْلامِ »[١].

وَقَالَ المنَاوي - رحِمَهُ اللهُ - : « هَذا الحَديثُ أصْلٌ في الإِخْلاصِ، ومِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمِ الَّتي لا يخْرُجُ عَنْهَا عملاً أصلاً؛ ولِهذا تَوَاتَرَ النَّقْلُ عَنِ الأَعْلامِ بعُمُومِ نفْعِه وعِظَمِ مَوْقِعِه. قَالَ أبُو عُبيدٍ: « لَيْسَ في الأَحَادِيثِ أَجْمَعُ ولا أَغْنَىٰ ولا أَنْفعُ ولا أَكْثَرُ فَائدَةً مِنْهُ »[٢].

وقَالَ الحَافِظُ: « قَدْ تَوَاتَرَ النَّقْلُ عَنِ الأَئمَّة في تَعْظِيمِ هَذا الحديث، قَالَ أَبو عبد الله [٣]: لَيْسَ في أَخْبَارِ النَّبيِّ

---

(١) « المجموع شرح المهذب » (١ / ١٦).

(٢) « فيض القدير » (١ / ٣٢).

(٣) هو الإمامُ البخاريُّ.

OBEIKAN.COM

- ﷺ - شَيْءٌ أَجْمَعَ وَلَا أَكْثَرَ فَائِدَةً مِنْ هَذَا الحَدِيثِ، واتَّفَقَ الشَّافِعِيُّ فيما نقله السِّيوطيُّ عنه، وأحْمَدُ بن حنبل، وعليُّ بن المديني، وأَبو داود، والترمذيُّ، والدارقُطْنيُّ، وحمزة الكتانيُّ، علَى أنَّهُ: ثُلُثُ الإِسْلامِ»[١].

وَقَال المعافريُّ:

عُمْدَةُ الدِّينِ عِنْدَنا كَلِمَاتٌ
أَرْبَعٌ مِنْ كَلامِ خَيْرِ البَرِيَّهْ
اتَّقِ الشُّبُهَاتَ وازْهَدْ وَدَعْ مَا
لَيْسَ يَعْنيكَ وَاعْمَلَنْ بنيَّهْ[٢]

أخي، الأَحَادِيثُ في أَهَمِيَّةِ الإِخْلاصِ ومَنْزِلَتِهِ أَكْثَرُ

(١) فتح الباري (١/١١).
(٢) شرح سنن النّسائيّ للسيوطي (٧/٢٤٢).

مِنْ أَنْ تُحْصَر، وإِنَّمَا أَكْثَرْتُ مِنْ نَقْلِ أَقْوَالِ أَهْلِ العِلْمِ في الحَديث المُتَقَدِّمِ لأَهَمِّيَّتِه؛ ولِهَذَا قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَن بْنُ مَهْدي - رَحِمَهُ اللهُ -: لَوْ صَنَّفْتُ كِتَابًا في الأَبْوَاب؛ لجَعَلْتُ حديثَ عُمَر بن الخَطَّابِ في الأَعْمَالِ بالنِّيَّاتِ في كُلِّ بَابٍ[١].

ومِنَ الأَدِلَّةِ الدَّالَّة على مَنْزِلَةِ الإِخْلاصِ وأَهمِّيَّته:

حَديثُ أَبي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - يقُولُ: **«قَالَ اللهُ - تَعَالَىٰ - أَنَا أَغْنَىٰ الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ معي فيه غَيْري تَرَكْتُهُ وشِرْكَهُ»**[٢].

وعَنْ أَبي أُمَامَةَ - رضي الله عنه - قالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: **«إِنَّ اللهَ لا يقْبَلُ مِنَ العَمَلِ إِلاَّ مَا كَانَ خَالِصًا وابتُغي بذَلِكَ وجْهُهُ»**[٣].

(١) «جَامع العُلوم والحكم» (٢٥).
(٢) رواه مسلم (٢٩٨٥).
(٣) حسنٌ، رواه النَّسائيُّ (٦/٢٥)، وحسَّنَهُ الألبانيُّ في الصحيحة (٢٥).

OBEIKAN.COM

إلىٰ غيرِ ذَلِكَ مِنَ الأَدِلَّةِ.

وَقَدْ ذَكَرَ ابنُ تَيْمِيَةَ - رحمهُ اللهُ - أنَّ إِخْلاصَ الدِّينِ هُوَ الَّذي لا يَقْبَلُ اللهُ - تَعَالَىٰ - سواهُ، وهُوَ الَّذي بَعَثَ اللهُ بِهِ الأَوَّلِينَ والآخرينَ مِنَ الرُّسُلِ، وَأَنْزَلَ بِهِ جَمِيعَ الكُتُبِ، واتَّفَقَ عَلَيهِ أئمَّةُ أَهْلِ الإيمَانِ، وهَذَا هُو خُلاصَةُ الدَّعْوَةُ النَّبَوِيِّة، وهو قُطْبُ القُرآنِ الَّذي تَدُورُ عَلَيْهِ رَحَاهُ»(١).

وَقَالَ - رَحِمَهُ اللهُ - **عِنْدَ ذِكْرِ حَدِيثِ البَغِيِّ الَّتِي سَقَتْ كَلْبًا فَغَفَرَ اللهُ لَهَا ... والرَّجلُ الَّذي أمَاطَ الأذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ فَغَفَرَ اللهُ لَهُ:** « فَهَذِهِ سَقَتِ الكَلْبَ بإيمانٍ خالِصٍ كانَ في قَلْبِهَا فَغُفِرَ لَهَا، وإلاَّ فَلَيْسَ كُلُّ بَغيٍ سَقَتْ كَلْبًا يُغْفَرُ لَهَا؛ فَالأَعْمَالُ تَتَفَاضَلُ بِتَفَاضُلِ مَا في القُلُوبِ مِنَ الإيمَانِ والإجْلالِ»(٢).

---

(١) « التحفة العراقية في أعمال القلوب » لابن تيمية (٥٨).

(٢) « منهاج السُّنَّة » (٦/ ٢١٨)

أَقْسَامُ الرِّيَاء

الرِّيَاءُ يَنْقَسِمُ إِلَىٰ أَقْسَامٍ يَنْبَغي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَعْرِفَهَا، ويُعَرِّفَ بها؛ لِيَحْصُلَ الابْتِعَادُ عَنْهَا.

وهي ما يَأْتي:

١ - أَنْ يَكُونَ العَمَلُ رِيَاءً مَحْضًا، ولا يُرَادُ به إلاَّ مُرَاءَاةُ المَخْلُوقِينَ؛ كَحَالِ المُنَافِقِينَ في صَلاتِهِمْ.

قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - : ﴿ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً (١٤٢) ﴾ [النِّسَاء : ١٤٢]، وكذلك وَصَفَ اللهُ - تَعَالَىٰ - الكُفَّارَ بالرِّيَاءِ المَحْضِ في قَوْلِه - تَعَالَىٰ - : ﴿ وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ ﴾ [الأنفال : ٤٧].

وَهَذَا الرِّيَاءُ لا يَكَادُ يَصْدُرُ مِنْ مُؤمِنٍ فِي فَرْضِ الصَّلاةِ والصِّيامِ، وقَدْ يَصْدُرُ في الصَّدَقَةِ الوَاجِبَةِ والحَجِّ وغيرهما مِنَ الأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ، الَّتي يتَعدَّىٰ نَفْعُها؛ فَإِنَّ الإِخْلاص فيها عَزِيزٌ:

وهَذَا العَمَلُ لا يَشُكُّ مُسْلِمٌ أَنَّهُ حَابِطٌ، وأَنَّ صَاحِبَهُ يَسْتَحِقُّ المَقْتَ مِنَ اللهِ والعُقُوبَةَ.

٢ - أن يكون العمل لله ويشاركه الرياء من أصله - أي مِنْ أَوّله إِلَىٰ آخِرِهِ - فَهَذَا العَمَلُ بَاطِلٌ باتِّفَاقِ العُلَمَاءِ، دَلَّ علَىٰ ذَلِكَ النُّصوص الصَّحِيحةُ، كَحَديث أَبي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - عَنِ النَّبيِّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: «**يَقُولُ اللهُ - تبارَكَ وتعالَىٰ - : أَنا أَغْنَىٰ الشُّركاءِ عَنْ الشِّرْك، مَنْ عَمِلَ عَملاً أشْركَ فيه معي غَيْري تركْتُهُ وشرْكَهُ**»[١].

(١) أخْرَجَهُ مُسْلمٌ (٢٩٨٥).

٣ - أَنْ يَكُونَ أَصْلُ العَمَلِ لله، ثُمَّ طَرَأَتْ عَلَيْهِ نِيَّةُ الرِّيَاءِ أَثْنَاءَ العِبَادَةِ.

فَهَذِهِ العِبَادَةُ لا تَخْلُو مِنْ حَالَيْنِ:

أ - أَنْ لا يَرْتَبِطَ أَوَّلُ العِبَادَةِ بآخِرِهَا، فَأَوَّلُهَا صَحِيحٌ بِكُلِّ حَالٍ وَآخِرُهَا بَاطِلٌ.

مِثَالُ ذَلِكَ: إِنْسَانٌ عِنْدَهُ مائةُ رِيَال يُرِيدُ أَنْ يَتَصَدَّقَ بِهَا، فتصدَّقَ بِخَمْسِينَ مِنْهَا خَالِصَةً لله، ثُمَّ طَرَأَ عَلَيْهِ الرِّيَاءُ في العَشْرَةِ البَاقِيَةِ؛ فالصَّدَقَةُ الأُولىٰ صَحِيحَةٌ، والثَّانِيَةُ بَاطِلَةٌ؛ لاخْتِلاطِ الرِّيَاءِ فيها بالإِخْلاصِ.

ب - أَنْ يَرْتَبِطَ أَوَّلُ العِبَادَةُ بآخِرِهَا، فَلا يَخْلو الإِنْسَانُ حِينَئِذٍ مِنْ أَمْرَيْنِ:

الأَمْرُ الأَوَّلُ - أَنْ يَكُونَ هَذَا الرِّيَاءُ خَاطِرًا، ثُمَّ دَفَعَهُ الإِنْسانُ، ولَمْ يَسْكُنْ إِلَيْهِ، وأَعْرَضَ عَنْهُ وكَرِهَهُ؛ فإِنَّهُ لا

يضُرُّه بغَيْرِ خلاف؛ لحَديث أَبي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: **«إِنَّ اللهَ تجاوز لي عن أُمَّتي ما وَسْوَسَتْ بِهِ صُدُورُها ما لَمْ تعمل أَوْ يعملُوا به»**(١).

الامر الثاني - أَنْ يَسْتَرْسِلَ مَعَ الرِّياءِ ويطْمئِنُّ إِلَيْه، ولا يدافعه ويحبه؛ فَتَبْطلُ جَميعُ العبادة علَىٰ الصَّحيحِ؛ لأَنَّ أوَّلَها مُرتبطٌ بآخرِهَا، مثَالُ ذَلكَ مَن ابْتَدَأَ الصَّلاةَ مُخْلصًا بِها للهِ - تَعَالَىٰ - ثُمَّ طَرَأَ عَلَيْه الرِّيَاءُ في الرَّكْعَة الثَّانيَة واسْتَرْسَلَ مَعَهُ إِلَىٰ نهايَة صَلاته، ولم يُدافعْهُ؛ فَتَبْطُلُ الصَّلاةُ كُلُّها؛ لارتِبَاط أَوَّلها بآخرِها(٢).

٤ - أن يكون الرياء بعد الانتهاء من العبادة:

فأَمَّا إِذَا عَمِلَ العَمَلَ للهِ خالِصًا، ثُمَّ أَلْقَىٰ اللهُ لَهُ الثَّنَاءَ

---

(١) رواه البخاري (٢٥٢٨)، ومسلم (١٢٧).

(٢) انظر جامع العلوم والحكم (١/ ٧٩ - ٨٤)، وفتح المجيد (٤٣٨)، وفتاوى ابن عثيمين (٢/ ٢٠٧)، وانظر - أيضًا - نور الهدىٰ للقحطاني (١٣٧، ١٣٨).

الحَسَنَ في قُلُوبِ المُؤمنينَ بذَلكَ، بفَضْلِ اللهِ ورَحْمَته، واسْتَبْشَرَ بذَلكَ، لَمْ يَضُرُّهُ ذَلكَ، وفي هَذَا المَعْنَىٰ جَاءَ حَديثُ أَبي ذَرٍ - رضي الله عنه - عَنِ النَّبيِّ - صلى الله عليه وسلم - أَنَّهُ سُئلَ عَنِ الرَّجُل يَعْمَلُ العَمَلَ للهِ منَ الخَيْرِ يَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْه؟ فقَالَ: «**تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَىٰ المُؤمِنِ**»(١).

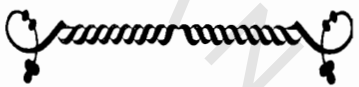

(١) رواه مسلم (٢٦٤٢).

أنواع الرياء

أنواع الرياء كثيرة. وسوف أذكر طرفا منها:

١ - أن يكون مراد العبد غير الله: ويريدُ ويُحبُّ أنْ يَعْرِفَ النَّاسُ أنَّهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ، ولا يَقْصِدُ الإخْلاصَ مُطْلقًا، وهَذا نوعٌ مِنَ النِّفَاق.

٢ - أنْ يكون قصد العبد ومراده لله - تعالى -. فإذا اطَّلع عليه النَّاس نشط في العبادة. وزينها. وهَذَا شركُ السَّرَائِرِ؛ فَعَن محمود بن لبيدٍ - رضي الله عنه - قَالَ: خرجَ النَّبيُّ - صلى الله عليه وسلم - فقَالَ: «**يا أَيُّهَا النَّاسُ، إيَّاكُمْ وشِرْكَ السَّرَائِرِ**»، قَالُوا: يَا رَسُولُ اللّه، ومَا شِرْكُ السَّرَائِرِ؟. فَقَالَ: «**يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي، فيُزَيِّنُ صلاتَهُ جَاهداً؛ لَمَا يَرَىٰ مِنْ نَظَرِ النَّاس إلَيْه، فَذَلك شِرْكُ السَّرَائرِ**»[١].

---

(١) حسن، أخرجه ابنُ خُزَيْمَة في صحيحه (٩٣٧)، وحسَّنَهُ الألبانيُّ في «صحيح التَّرغيب والتَّرهيب» (١/ ١١٩).

٣ - أَنْ يَدْخُلَ العَبْدُ فِي العِبَادَةِ، وِيَخْرُجْ مِنْهَا لله: فَعُرِفَ ومُدِحَ، فَسَكَنَ قَلْبُهُ إِلَىٰ ذَلِكَ المَدْحِ، ومَنَّىٰ النَّفْسَ بأَنْ يَحْمَدوه ويُمَجِّدُوه، ويَنَالُ ما يُريدُهُ مِنَ الدُّنْيَا، وهَذَا السُّرُورُ والرَّغْبَةُ في الازديادِ مِنْهُ والحُصُولُ علىٰ مَطْلُوبِهِ يَدُلُ علَىٰ رِيَاءٍ خَفِيٍّ.

٤ - وهُنَا رِيَاءٌ بدَنِيٌّ: كَمَنْ يُظْهِرُ الصغارَ والنُّحولَ؛ ليُرِيَ النَّاسَ بذَلِكَ أنَّهُ صَاحِبَ عِبَادَةٍ قَدْ غَلَبَ علَيْهِ خَوْفُ الآخِرَةِ. وقَدْ يَكونُ الرِّياءُ بخَفْضِ الصَّوتِ، وذُبُولُ الشَّفَتَيْنِ؛ ليدُلَّ النَّاسَ علَىٰ أنَّهُ صَائِمٌ، وكَذَلِكَ إِظْهَارُ أَثَرِ السُّجُودِ عَلَىٰ الوَجْهِ.

٥ - الرِّياءُ بالقَوْلِ: وهُوَ عَلَىٰ الغَالِبِ رِيَاءُ أَهْلِ الدِّينِ بالْوَعْظِ والتَّذْكيرِ، وحِفْظِ الأَخْبَارِ والآثارِ؛ لأَجْلِ المُحَاوَرَةِ والمُنَاظَرَةِ، وإِظْهَارِ الغَضَبِ للْمُنْكَرَاتِ، وإِظْهَارِ الأَسَفِ

عَلَىٰ مُقَارَفَةِ النَّاسِ للمعاصِي، وتَضْعِيفِ الصَّوْتِ في الكَلامِ، وتَرْقِيقِ الصَّوْتِ بِقِرَاءَةِ القُرْآنِ؛ لِيَدُلَّ ذَلِكَ عَلَىٰ الخَوْفِ والحزنِ، وادِّعَاءِ حِفْظِ الحديثِ، ولِقَاءِ الشُّيوخِ، والدِّقَّةِ علَىٰ مَنْ يروي الحَديثَ ببيانِ خَلَلٍ في لَفْظِهِ؛ لِيُعْرَفَ أَنَّهُ بَصِيرٌ بالأَحَادِيثِ، والمُبَادَرَةِ إِلَىٰ أنَّ الحَديثَ صَحِيحٌ أَوْ غَيرُ صَحِيحٍ لإِظْهَارِ الفَضْلِ فيه، والمُجَادَلَةِ عَلَىٰ قَصْدِ إِفْحَامِ الخَصْمِ؛ لِيُظْهِرَ للنَّاسِ قُوَّتَهُ في عِلْمِ الدِّينِ.

والرِّيَاءُ بالقَوْلِ وأَنْوَاعُهُ لا تَنْحَصِرْ، وأَمَّا أَهْلُ الدُّنْيا، فمُرَاءاتهم بالقَوْلِ بِحِفْظِ الأَشْعَارِ والأَمْثَالِ والتَّفَاصحُ في العِبَارَاتِ، وحِفْظُ النَّحْوِ والغَريبِ للإِغْرابِ علَىٰ أَهْلِ الفَضْلِ وإِظْهارُ التَّوَدُّدَ إِلَىٰ النَّاسِ؛ لاستِمَالَةِ القُلُوبَ.

٦ - الرِّياءُ بالعمل: كَمُراءاة المُصَلِّي بطُولِ القِيَامِ، وَمَدِّ الظَّهرِ، وَطُولِ السُّجُودِ والرُّكُوعِ، وإِطْرَاقِ الرَّأسِ.

وترك الالْتِفَاتِ، وإِظْهارِ الهُدُوءِ والسُّكُونِ، وتَسْوِيَةَ القَدَمَيْنِ واليَدَيْنِ[١]، وكَذَلِكَ بالصَّوْمِ والغَزْوِ والحَجِّ، وبالصَّدَقَةِ وبإِطْعامِ الطَّعامِ، وبالإِخْبَاتِ في المَشْيِ عِنْدَ اللِّقَاءِ؛ كإِرْخَاءِ الجُفُونِ، وتَنْكِيسِ الرَّأْسِ، والوَقَارِ في الكلامِ، حَتَّىٰ أنَّ المُرائي قَدْ يُسْرِعُ في المَشْيِ إِلَىٰ حاجَتِه، فإِذَا اطَّلَعَ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الدِّينِ رجَعَ إِلَىٰ الوَقَارِ وإِطْراقِ الرَّأْسِ؛ خَوْفًا مِنْ أَنْ يَنْسبَهُ إِلَىٰ العَجَلَةِ وقِلَّةِ الوَقَارِ، فإِنْ غَابَ الرَّجُلُ عَادَ إِلَىٰ عَجَلَتِه، فإِذَا رآهُ عَادَ إِلَىٰ خُشُوعِه، ولَمْ يَحْضُرْهُ ذِكْرُ اللهِ حَتَّىٰ يَكونَ يجدِّدُ الخشوعَ لهُ، بَلْ هُوَ لإِطْلاعِ إِنْسَانٍ عَلَيْهِ، يَخْشَىٰ أَنْ لا يَعْتَقِدَ فيه أَنَّهُ مِنَ العُبَّادِ والصُّلَحَاءِ، ومِنْهُمْ مَنْ إِذَا سَمِعَ هذا اسْتَحْيَا مِنْ أَنْ تُخالِفَ مِشْيَتُهُ في الخُلْوَةِ بِمَرْأَىٰ مِنَ النَّاسِ، فيكلِّفُ نَفْسَهُ المَشيَةَ الحَسَنَةَ في الخُلْوَةِ، حَتَّىٰ إِذَا

---

(١) هذا كله سنن، لكن المقصود إذا كان ينوي بذلك مُراءَاةَ النَّاسِ فله ما نوىٰ، وإذا أرادَ بذَلكَ وجهَ اللهِ، فَهُوَ لاشكَّ مُثابٌ مأْجُورٌ.

رَآهُ النَّاسُ يفْتَقِرُ إِلَىٰ التَّغْيِيرِ، ويَظُنُّ أَنَّهُ يتخَلَّصُ به عَنِ الرِّياءِ، وقَدْ تَضاعَفَ به رِيَاؤُهُ، فإِنَّهُ صَارَ في خُلْوَتِه - أَيْضًا - مُرائيًا؛ فإِنَّهُ إِنَّمَا يُحْسِنُ مِشْيَتَهُ في الخلوة؛ ليَكُونَ كَذَلِكَ في المَلأ، لا لخَوْفٍ مِنَ اللهِ وَحَيَاءٍ مِنْهُ.

وأمَّا أَهْلُ الدُّنْيا، فمُرَاءَاتُهُمْ بالتَّبَخْتُرِ والاخْتِيال، وتَحْرِيكِ اليَدَيْنِ، وتَقْرِيبِ الخُطا، والأَخْذِ بأَطْرَافِ الذَّيلِ، وإِدَارَةِ العِطْفَينِ؛ ليدلُّوا بذَلكَ عَلَىٰ الجَاهِ والحِشْمَةِ.

٧ - رِياءٌ مِنْ جِهةِ اللِّبَاسِ أوِ الزِي: كَمَنْ يَلْبسُ ثيَابًا مُرقَّعةً؛ ليَقُولَ النَّاسُ إِنَّهُ زَاهِدٌ في الدُّنْيا، أوْ مَنْ يَلْبَسُ لبَاسًا مُعينًا يرْتَدِيه ويَلبسهُ طَائفةٌ مِنَ النَّاسِ يَعُدُّهُمُ النَّاسُ عُلمَاءَ، فَيَلْبسُ هَذَا اللباسَ ليُقَالَ عالِمٌ.

٨ - الرِّياءُ بالأصْحَابِ والزَّائرِينَ: كالَّذي يَتَكَلَّفُ أَنْ يسْتَزِيرَ عَالِمًا؛ ليُقَالَ إِنَّ فُلانًا قَدْ زَارَ فُلانًا، ودعوةُ النَّاسِ لزِيَارَتِهِ؛ كَيْ يُقالَ: إِنَّ أَهْلَ الدِّينِ يتَرَدَّدونَ عَلَيْهِ.

٩ - الرِّيَاءُ بِذَمِّ النَّفْسِ بَيْنَ النَّاسِ: ويُرِيدُ بذلكَ أنْ يُري النَّاسَ أَنَّهُ مُتَوَاضِعٌ عِنْدَ نَفْسِهِ، فيَرْتَفِعُ بذَلكَ عِنْدَهُمْ ويَمْدَحُونَهُ بِهِ، وهَذَا مِنْ دَقَائقِ أبْوَابِ الرِّياءِ، وقَدْ نَبَّهَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ.

قَالَ مُطَرِّفُ بن عبد الله بن الشِّخير: «كَفَىٰ بِالنَّفْسِ إِطْرَاءً أَنْ تَذُمَّهَا عَلَىٰ الملإِ، كَأَنَّكَ تُريدُ بِذَمِّهَا زينتَهَا، وذَلِكَ عِنْدَ اللهِ سَفَهٌ»(١).

١٠ - ومِنْ دَقَائِقِ الرِّياءِ وخَفَاياهُ: أَنْ يُخْفِي العاملُ طَاعَتَهُ بحَيثُ لا يُريدُ أَنْ يطَّلِعَ عَلَيْهَا أَحدٌ ولا يُسَرَّ بظُهُورِ طَاعَتِهِ، ولَكِنَّهُ معَ ذَلكَ إِذَا رَأَىٰ النَّاسَ أَحَبَّ أنْ يَبْدَءوهُ بالسَّلامِ، وأَنْ يُقَابلوهُ بالبَشَاشَةِ والتَّوْقيرِ، وأَنْ يُثْنُوا عَليهِ، وأَنْ يَنْشَطوا في قَضَاءِ حَوَائجِهِ، وأَنْ يُسَامِحُوهُ في البَيْعِ والشِّرَاءِ، فإنْ لَمْ يَجِدْ ذلك وَجَدَ

---

(١) شرح حديث «ما ذِئبانِ جَائعانِ» لابن رجب (ص٤٦).

أَلـمًا في نَفْسـهِ، كَـأَنَّهُ يتـقَـاضَىٰ الاحْـتِـرَامَ علَىٰ الطَّاعَـة الَّتي أَخْفَاها.

١١ - ومن دقـائق الريـاء: أنْ يَجْعَلَ الإخْـلاص وَسيلَةً لما يُريدُ مِنَ المطَالِب، قَالَ شيخُ الإسلام ابنُ تَيْمية - رحِمَهُ اللهُ -: «حُكيَ أنَّ أبا حامد الغزَالِيّ بَلَغَهُ أنَّ مَنْ أَخْلَص للهِ أَرْبَعينَ يَومًا تَفَجَّرَت الحِكْمَةُ مِنْ قَلْبِهِ عَلَىٰ لسانه.

قَالَ: فأَخْلصْتُ أربَعينَ يومًا، فلم يَتَـفَـجَّـرْ شيء، فذَكَرْتُ ذَلِكَ لبَعْضِ العارِفينَ، فَقَالَ لي: إنَّك أَخْلَصْتَ للحكمَةِ، ولَمْ تُخْلِصْ للهِ»(١).

(١) انظر «درء تعارض العقل والنقل» لابن تيمية (٦/٦٦)، و«منهاج القاصدين» (٢١٤ - ٢٢١)، و«الإخلاص» للعوايشة (٢٤)، و«الإخلاص والشرك الأصغر» لعبد العزيز بن عبد اللطيف (٩)، و«الرياء» للهلالي (١٧)، و«نور الهدىٰ» للقحطاني (١٢٥ - ١٢٧).

خطرُ الرِّيَاء

الرِّيَاءُ خطَرُهُ عَظِيمٌ عَلَىٰ الفَرْدِ والمُجْتَمَعِ والأُمَّة؛ لأَنَّهُ يُحبطُ العَمَلَ.

ويَظْهَرُ خَطَرُ الرِّيَاءِ في الأُمُورِ الآتيَة:

١ - الرِّيَاءُ أَخْطَرُ علَىٰ المسلمين من المسيح الدجّال:

فَعَنْ أبي سَعيدٍ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ - ﷺ - ونَحْنُ نَتَذَاكرُ المَسِيحَ الدَّجَّال، فَقَالَ: «**ألا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هو أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدي مِنَ المسيحِ الدَّجَّالِ؟، الشِّرْكُ الخَفيُّ، أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ فيُصَلِّي، فيُزَيِّنُ صَلاتَهُ لما يرَىٰ مِنْ نظَرِ رجُلٍ**»(١).

(١) حسن، أخرجه ابن ماجه (٤٢٠٤)، وحسَّنَهُ الألبانيُّ في «صحيح ابن ماجه» (٣٣٨٩).

OBEIKAN.COM

٢ - الرياء أشد فتكا من الذئب في الغنم:

فَعَنْ كَعْبِ بْنِ مَالكٍ الأنْصَارِيِّ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: **«مَا ذئبان جائعان أُرْسِلا في غنمٍ بِأَفْسَدَ مِنْ حِرْصِ المَرْءِ عَلَى المَالِ والشَّرَف لدينه»**(١).

٣ - الرياء يذهب بركة الأعمال الصالحات ويبطلها:

قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين (٢٦٤) ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

وعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ

---

(١) صحيح، أخرجه الترمذي (٢٤٩٥)، وصححه الألبانيُّ في «صحيح الترمذي» (١٩٣٥).

– ﷺ – يَقُول: «قَالَ اللهُ – تعالَىٰ – : أَنَا أَغْنَىٰ الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وشِرْكَهُ»(١).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ أَبِي فَضَالَةَ – رضي الله عنه – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – ﷺ – : «إِذَا جَمَعَ اللهُ الأَوَّلِينَ والآخرِينَ لِيَوْمِ القِيَامَةِ، لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ نَادَى مُنادٍ: مَنْ كَانَ أَشْرَكَ فِي عَمَلٍ عَمِلَهُ للهِ، فَلْيَطْلُبْ ثَوَابَهُ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ؛ فَإِنَّ اللهَ أَغْنَىٰ الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ»(٢).

٤ - يُسبب عذاب الآخرة:

ولهذا أَوّلُ مَنْ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ القِيَامَةِ: قَارِئُ القُرآنِ، والمُجاهِدُ، والمُتَصَدِّقُ بمالِهِ، الذين فعلوا ذلك

(١) رواه مسلم (٢٩٨٥).
(٢) أخرجه الترمذي (٣١٥٤)، وحسَّنه الألبانيُّ في «صحيح الترمذي» (٣/ ٧٤)، وقال الترمذيُّ: حديثٌ حسنٌ غريب.

لِيُقال: فلانٌ قارئٌ، فُلانٌ شُجاعٌ، فُلانٌ كَريمٌ مُتَصَدِّقٌ. ولَمْ تَكُنْ أَعْمَالُهُمْ خَالِصَةً للهِ - تَعَالَى - [1].

٥ - الرِّياء يورث الذُّلَ والصَّغار والهوان والفضيحة:

فَعَنِ ابنِ عبَّاسٍ - رضي الله عنهما - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: **«مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ، ومَنْ يُرائي يُرائي اللهُ بِهِ»** [2].

٦ - الرِّياء يحرم ثواب الآخرة:

فَعَنْ أُبيّ بن كَعْبٍ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: **«بَشِّرْ هَذِهِ الأُمَّةَ بالسَّنَاءِ [3] والدِّين، والرِّفْعَة، والتَّمْكين في الأَرْضِ، فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ عَمَلَ الآخِرَةِ للدُّنْيَا لَمْ يَكُنْ لَهُ في الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ»** [4].

---

(١) رواه مسلم (١٩٠٥).

(٢) رواه البخاري (٦٤٩٩)، ومسلم (٢٩٨٦).

(٣) السنا: الرفعة.

(٤) صحيح، رواه أحمد (٥/ ١٣٤)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (١/ ١٥).

٧ - الرِّيَاءُ سَبَبٌ فِي هَزِيمَةِ الأُمَّةِ:

فَعَنْ سَعْدٍ - رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم -: «**إِنَّمَا يَنْصُرُ اللهُ هَذِهِ الأُمَّةَ بِضَعِيفِهَا، بِدَعْوَتِهِمْ، وَصَلاتِهِمْ، وَإِخْلاصِهِمْ**»(١).

فَإِذَا تَخَلَّىٰ مَنْ يَنصُرُ اللهُ بِهِمُ الأُمَّةَ عَنِ الإِخْلاصِ كَانَ ذَلِكَ سَبَبٌ فِي هَزِيمَتِهَا(٢).

٨ - الرِّيَاءُ يَزِيدُ الضُّلَّالَ ضَلالاً:

قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - عَنِ الْمُنَافِقِينَ: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾ [البقرة: ١٠].

---

(١) صحيح، أخرجه النَّسائي (٢٩٧٨)، وصححه الألبانيُّ في «صحيح الترغيب» (١/ ٦).

(٢) انظر «نور الهدىٰ» للقحطانيِّ (١٢٢ - ١٢٥).

OBEIKAN.COM

٩ - الرياء سبب لتسلط الشيطان:

قَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ - حاكيًا عَنِ الشَّيْطَانِ وإِغْوَائيهِ لِمَنْ في الأَرْضِ: ﴿قال رب بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين (٣٩) إلا عبادك منهم المخلصين (٤٠) قال هذا صراط علي مستقيم (٤١) إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين (٤٢)﴾

[الحِجْر: ٣٩، ٤٢].

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ -: ﴿فبعزتك لأغوينهم أجمعين (٨٢) إلا عبادك منهم المخلصين (٨٣)﴾

[ص: ٨٢، ٨٣].

فالإِخْلاصُ يَمْنَعُ سُلْطَانَ الشَّيْطَانِ وتَسَلُّطَهُ.

قَالَ ابنُ تَيْمِيَةَ - رَحِمَهُ اللهُ -: «فبيَّنَ أنَّ سُلطَانَ

OBEIKAN.COM

الشَّيْطَانِ وإِغْوَاءهُ إِنَّمَا هُوَ لِغَيْرِ المُخْلَصِينَ»[١].

وَقَالَ الفَخْرُ الرَّازي: «اعْلَمْ أَنَّ إِبْلِيسَ اسْتَثْنَىٰ المُخْلَصِينَ؛ لأَنَّهُ عَلِمَ أَنَّ كَيْدَهُ لا يَعْمَلُ فيهم، وَلا يَقْبَلونَ مِنْهُ»[٢].

ولَقَدْ أَكَّدَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وتَعَالَىٰ - إِعْلان إِبْليس عن عجْزِهِ ويَأْسِهِ عَنْ بُلُوغِ غَايَتَهُ في عِبَادِه المُخْلَصِينَ بِقَوْلِهِ - جَلَّ وعَلا -: ﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (٤١) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (٤٢) وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٣) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ (٤٤)﴾ [الحجر: ٤١ - ٤٤][٣].

قَالَ الزَّجَّاجُ - رَحِمَهُ اللهُ - في مَعْنَى قَوْلِهِ - تَعَالَى -:

---

(١) «الفتاوىٰ» (١٠ / ٥٠).

(٢) «التفسير الكبير» (١٩ / ١٨٨).

(٣) «عداوة الشيطان للإنسان وعلاجها» للحواس (٤٥٤).

﴿إنَّ عبادي ليس لك عليهم سلطانٌ﴾ [الحجر: ٤٢]: «أَي مَنْ أَخْلَص فَلا حُجَّةَ لَكَ عَلَيْه ولا سُلْطَان»[١].

وقال جمال الدين القاسمي: «أي حق نَهَجَهُ ومُراعاتُهُ لا اعْوِجَاجَ فيهِ، وهُوَ أنْ لا سُلْطَانَ لَكَ عَلَى عِبَادي المُخْلصِينَ، إلاَّ الَّذينَ يُنَاسِبُونَكَ في الغِوَايَةِ، والبُعْدِ عَنْ صِرَاطِي، فيَتَّبِعونَكَ»[٢].

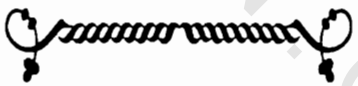

(١) «معاني القُرآن وإعرابه» للزجاج (٣/ ٢٥١).

(٢) «محاسن التأويل» للقاسمي (١٠/ ٥٧).

OBEIKAN.COM

العَمَلُ للدُّنْيَا

هُوَ أَنْ يَعْمَلَ الإِنْسَانُ عَملاً صَالحًا يُريدُ به غَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، وَهَذا شِرْكٌ يُنافي كَمَالَ التَّوْحِيدِ الوَاجِبِ، ويُحْبِطُ العمَلَ، وهو أعْظَمُ مِنَ الرِّيَاءِ؛ لأنَّ مُريدَ الدُّنْيا قد تَغْلُبُ إِرَادَتُهُ عَلَىٰ كَثيرٍ مِنْ عَمَلِه، وأَمَّا الرِّيَاءُ فَقَدْ يَعْرِضُ لَهُ في عَمَلٍ دونَ عَمَلٍ، وَلا يَسْتَرْسِلُ مَعَهُ، والمُؤْمِنُ يَكُونُ حَذِراً مِنْ هَذا وهَذَا.

الفَرقُ بَيْنَ الرِّيَاءِ، وإِرَادَةُ الإِنْسَانِ بعَمَلِه الدُّنْيا:

هُوَ أنَّ بينهُما عُمومٌ وخُصوصٌ مُطْلَقٌ يَجْتَمِعَانِ في أَنَّ الإِنْسَانَ إِذَا أَرَادَ بعَمَلِه التَّزَيُّنَ عِنْدَ النَّاسِ؛ ليَرَوْهُ ويُعَظِّمُوهُ ويَمْدَحُوهُ؛ فهذَا رِيَاءٌ وهو - أَيْضًا - إِرَادَةٌ

للدُّنْيـا؛ لأنَّهُ تَصنَّعَ عِنْدَ النَّاسِ، وطَلَبَ الإكْـرَامَ مِنْهُمْ والْمدْحَ والثَّناءَ.

أَمَّا العمَل للدُّنْيا فَهُوَ أَنْ يَعْمَلَ الإِنْسَانُ عَملاً صَالحًا لا يَقْصِدُ بِهِ الرِّيَاءَ للنَّاسِ، وإِنَّما يَقْصِدُ به عَرضًا من الدُّنْيَا: كَمَنْ يَحجُّ عَنْ غَيْرِه؛ ليأْخُذَ مَالاً، أَوْ يُجَاهِدُ للمَغْنَمِ، أَوْ غَير ذَلكَ؛ فالْمرائي عَملَ لأَجْلِ المَدْحِ والثَّنَاءِ مِنَ النَّاسِ، والعَاملُ للدُّنْيَا يَعْمَلُ العَمَلَ الصَّالِحَ يُرِيدُ بِهِ عَرَضَ الدُّنْيَا، وكِلاهُمَا خاسِرٌ، نَعُوذُ باللهِ مِنْ مُوجِبَاتِ غَضَبِه وأَلِيمِ عِقَابِه»(١).

وَقَدْ جَاءَتْ النُّصُوصُ تَدُلُّ عَلَىٰ خُسْرَان صَاحِب هَذَا العَمَلِ في الدُّنْيَا والآخِرَةِ، قَالَ اللهُ – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ – : ﴿ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم

(١) انظر «فتح المجيد» (٤٤٢)، و«تيسير العزيز الحميد» (٥٣٤)، و«نور الهدىٰ» (١١٩، ١٢١).

فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ (١٥) أُوْلَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٦) ﴾ [هود: ١٥، ١٦].

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا (١٨) ﴾ [الإِسْرَاء: ١٨].

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ (٢٠) ﴾

[الشورىٰ: ٢٠].

وَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - : ﴿ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ (٢٠٠) ﴾

[البقرة: ٢٠٠].

OBEIKAN.COM

وعَـنْ أَبـي هُـرَيْـرَةَ - رضي الله عنه - قَـالَ : قَـالَ رَسُـولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - : «مَنْ تعلَّم علمًـا ممَّا يُبْتَغَىٰ به وجْهُ اللهِ - عزَّ وجلَّ - لا يتَعَلَّمُهُ إلاَّ ليُصيب به عرضًا من الدُّنْيا لَمْ يجدْ عرْفَ الجنَّةَ يومَ القيامة»(١).

وتَكفَّلَ اللهُ - سُبْحانَهُ وتَعالَىٰ - بالسَّعادَةِ لمَنْ عَمِلَ للهِ؛ فعَنْ زَيدِ بن ثابتٍ - رضي الله عنه - قَالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - : «مَنْ كـانت الآخـرَةُ همَّـهُ جـعل اللهُ غناهُ في قَلْبِهِ، وَجَمعَ لَهُ شَمْلَهُ، وأَتَتْهُ الدُّنْيَا وهي رَاغمَةٌ، وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيا هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وفَرَّقَ عَلَيْه شَمْلَهُ، ولَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيا إلاَّ ما قُدِّرَ لَهُ»(٢).

---

(١) صحيح، رواهُ أبو داود (٣٦٦٤)، وابن ماجه (٢٥٢)، وصححه الألبانيُّ في صحيح ابن ماجه (٢٠٤).

(٢) صحيح، رواه أبو داود (٢٤٦٥)، وابن ماجه (٤١٠٥)، وصححه الألبانيُّ في صحيح الجامع (٦٥١٠)، والصَّحيحة (٩٥٠).

فَبَعْدَ أنْ عَرفنَا خُطورَةَ العَمَلِ للدُّنْيَا وأَنَّهُ أَخْطَرُ مِنَ الرِّيَاءِ، فَعِلاجُ ذَلِكَ أن نَنْظُرَ في حقَارَتِهَا، وأَنَّها لا تَسْتَحِقُّ مِنَّا أَنْ نَلْتَفِتَ إِلَيْهَا فَضْلاً عَنْ جَعْلِهَا طَرِيقًا لَنَا إِلَىٰ النَّارِ - والعِيَاذُ باللهِ -.

قَالَ العَلاَّمَةُ ابنُ القَيِّمِ - رَحِمَهُ اللهُ -: «فَأَوَّلُ شَوَاهِدِ السَّائِرِ إِلَىٰ اللهِ والدَّارِ الآخِرَةِ أَنْ يَقُومَ بِهِ شَاهِدٌ من (الدُّنْيا وحقَارتِها) وَقِلَّة وفَائِهَا، وكَثْرَةِ جفَائِهَا، وخِسَّةِ شُركَائِهَا، وسُرْعَةِ انْقِضَائِهَا.

[ومَا هي إلاَّ سَاعة ثُمَّ تَنْقَضِي
ويَذْهَبُ هَذَا كُلُّهُ ويَزُولُ]

ويَرَىٰ أهْلَهَا وعُشَّاقَهَا صَرْعَىٰ حَوْلَهَا قَدْ بَدَّعَتْ وعذَّبَتْهُم بأَنْوَاعِ العَذَابِ، وَأَذَاقَتْهُمْ أَمَرَّ الشَّرَابِ.

أَضْحَكَتْهُمْ قَليلاً، وأَبْكَتْهُمْ طَويلاً، سَقَتْهُمْ كُؤوسًا سُمّها بَعْدَ كُؤُوسِ خَمْرِها، فَسَكروا بحبِّها وماتوا بهجْرِهَا.

فإذا قَامَ بالعَبْدِ هَذا الشَّاهِدُ منْها تَرحَّلَ قَلْبُهُ عَنْهَا وسَافَرَ في طَلَبِ الدَّارِ الآخِرَةِ، وحِينئذٍ يَقُومُ بقَلْبِه شَاهِدٌ منَ (الآخِرَةِ ودَوامها) وأَنَّها هي الحَيَوَانُ حقًّا، فأَهلُها لا يَرْتَحِلونَ منْهَا، ولا يظْعنونَ عَنْهَا، بَلْ هِيَ دَارُ القَرَارِ ومَحَطُّ الرِّحَالِ، ومُنْتَهىٰ السَّيْر، وأَنَّ الدُّنْيَا بالنِّسْبَةِ إِلَيْهَا كَمَا قَالَ النَّبيُّ ـ ﷺ ـ: «**مَا الدُّنْيا في الآخِرَةِ إلاَّ كَمَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ أصبعهُ في اليَّمِّ فَلْيَنْظُرُ بِمَ يَرْجِع**».

وقَالَ بعضُ التَابعين: مَا الدُّنْيا في الآخِرَةِ إلاَّ أقَلُّ منْ ذَرَّةٍ وَاحِدَةٍ في جبَالِ الدُّنْيا»(١).

---

(١) «إحسان سلوك العبد المملوك إلىٰ ملك الملوك» عبد الكريم بن صالح الحميد (٢٢٨، ٢٢٩).

أنواعُ العَمل للدُّنْيَا

العَمَلُ للدُّنْيا أَنْوَاعٌ كثيرةٌ نَقَلَ الإمَامُ محمَّد بن عبْد الوَهَّاب - رَحِمَهُ اللهُ - عَنِ السَّلَفِ أَرْبَعَةَ أَنْوَاعٍ:

النَّوْعُ الأَوَّلِ - العَمَلُ الصَّالحُ الَّذي يَفْعَلُهُ كَثيرٌ مِنَ النَّاسِ؛ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ - تَعَالَىٰ - : مِنْ صَدَقَةٍ، وصَلاةٍ، وإِحْسَانٍ إِلَىٰ النَّاسِ، وردِّ ظُلمٍ، ونَحْو ذَلكَ مِمَّا يَفْعَلُهُ الإِنْسَانُ أَوْ يَتْرُكُهُ خَالصًا للهِ - تَعَالَىٰ؛ لكِنَّهُ لا يُرِيدُ ثَوَابَهُ في الآخِرَة، وإِنَّمَا يُرِيدُ أَنْ يُجَازِيَهُ اللهُ بِحِفْظِ مَالِه، وتَنْمِيَتِه، أو حِفْظِ أَهْلِهِ وعِيَالِه، أو إِدَامَةِ النَّعيمِ عَلَيْهِ وعَلَيْهِمْ، ولا هِمَّةَ لَهُ في طَلَبِ الجَنَّةِ والهَرَبِ مِنَ النَّارِ؛ فَهَذَا يُعْطَىٰ ثَوَابَ عَمَلِه في الدُّنْيَا ولَيْسَ لَهُ في الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ. وهَذَا مَرْوِيٌّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا - .

النَّوعُ الثَّاني - وَهُوَ أَكْبَرُ مِنَ الأَوَّلِ وَأَخْوَف، وهُوَ أَنْ يَعْمَلَ أَعْمَالاً صَالِحَةً، ونِيَّتُهُ رِيَاءُ النَّاسِ لا طَلَبُ ثَوَابَ الآخِرَةِ. وهُوَ مَا ذُكِرَ عن مجاهدٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - .

النَّوعُ الثالثُ - أَنْ يعمَلَ أَعْمَالاً صَالِحَةً يَقْصِدُ بِهَا مَالاً، مِثْلَ أَنْ يَحُجَّ عَنْ غَيْرِهِ لِمَالٍ يَأْخُذُهُ، ولا يَقْصِدُ بذَلِكَ وَجْهَ اللهِ ولا الدَّارَ الآخِرَة، أو يُهَاجِرَ لدُنْيَا يُصيبُهَا، أو يُجَاهِدَ لأَجْلِ المَغْنَمِ، أَوْ يَتَعَلَّمَ العِلْمَ ليحْصُلَ عَلَىٰ الشّهادَةِ وعَلَىٰ الجَاه، ولا يَقْصِدُ بذَلكَ وَجْهَ اللهِ مُطْلَقًا، أَوْ يَتَعَلَّمَ القُرآنَ ويُوَاظِبَ علىٰ الصَّلاة؛ لأَجْلِ وظيفَةِ المَسْجِدِ أو غَيْرِهِ مِنَ الوَظَائِفِ الدِّينيَّة، ولا يُريدُ بذلكَ ثَوَابًا مُطْلَقًا.

النَّوعُ الرَّابعُ - أَنْ يعمَلَ بطَاعَةِ اللهِ مُخْلِصًا في ذَلكَ للهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، ولَكنَّهُ عَلَىٰ عملٍ يُكَفِّرُهُ كُفْرًا

يُخْــرِجُــهُ عَنِ الإِسْــلامِ، كَــمَنْ يَـأْتي بنَـاقِضٍ مِنْ نَـوَاقِضِ الإِسْلامِ. ذُكِرَ ذَلِكَ عَنْ أَنَسٍ - رضي الله عنه - وَغَيْرِهِ»(١).

---

(١) انظر «فتح المجيد» (٤٤٤)، و«تيسير العزيز الحميد» (٥٣٦)، و«القول السديد في مقاصد التوحيد» للسّعدي (١٢٦).

OBEIKAN.COM

تَرْكُ العمل خوفَ الرِّياء

بَعْضُ النَّاسِ اعْتَادَ فِعْلَ الخَيْرِ، فإِذَا لاَحَ لَهُ لائِحٌ مِنْ رِيَاءٍ، فَبَدَلاً مِنْ أَنْ يُجَاهِدَ نَفْسَهُ في دَفْعِهِ يَتْرُكَ الطَّاعَةَ خَوْفًا مِنْ هَذَا العَارِضُ.

وهَذَا العَمَلُ هُوَ الرِّيَاءُ بِعَيْنِهِ، بَلْ قَدْ أَشَارَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ إِلَىٰ أنَّ تَرْكَ العَمَلِ لأَجْلِ النَّاسِ أَخْطَرُ مِنَ الرِّيَاءِ.

قَالَ الفُضيلُ بْنُ عياض - رحمه الله - : « تَرْكُ العَمَلِ لأَجْلِ النَّاسِ رِيَاءٌ، والعَمَلُ لأَجْلِ النَّاسِ شِرْكٌ، والإِخْلاصُ أَنْ يُعافيكَ اللّٰهُ منهُما »[(١)].

قَالَ النَّووِي - رحمه الله - : « ومَعْنَىٰ كَلامِهِ - رَحِمَهُ

---

(١) « مدارج السالكين » (٢ / ٨٤).

اللهُ - أَنَّ مَنْ عَزَمَ عَلَىٰ عِبَادَةٍ وتَرَكَهَا مَخَافَةَ أَنْ يَراهُ النَّاسُ، فَهُوَ مُراءٍ؛ لأنَّهُ تَرَكَ العَمَلَ لأَجْلِ النَّاسِ، أمَّا لو تَرَكَهَا ليُصَلِّيهَا في الخُلْوَة، فَهَذَا مُسْتَحَبٌّ إلاَّ أنْ تَكُونَ فَرِيضَةً أَوْ زَكَاةً وَاجِبَةً، أَوْ يَكُونَ عَالِماً يُقْتَدَىٰ بِهِ؛ فَالجَهْرُ بالعِبَادَةِ في ذَلِكَ أَفْضَلُ..» [١].

وَقَالَ ابنُ تَيمِيَةَ - رَحِمَهُ اللهُ - : «وَمَنْ كَانَ لَهُ وِرْدٌ مَشْرُوعٌ مِنْ صَلاةِ الضُّحَىٰ، أَوْ قِيَامِ لَيْلٍ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، فإنَّهُ يصليهِ حَيْثُ كَانَ، ولا يَنْبَغي لَهُ أَنْ يَدَعَ وِردَهُ المَشْرُوعَ لأَجْلِ كَوْنِهِ بَيْنَ النَّاسِ، إذَا عَلِمَ اللهُ مِنْ قَلْبِهِ أَنَّهُ يَفْعَلُهُ سِرًّا للهِ مَعَ اجْتِهَادِهِ في سَلامَتِهِ مِنَ الرِّياءِ ومُفْسِدَاتِ الإخْلاصِ.

إلى أَنْ قَالَ: «وَمَنْ نَهَىٰ عَنْ أَمْرٍ مَشْرُوعٍ بمُجرَّدِ زَعْمِهِ أَنَّ ذَلِكَ رِيَاءٌ، فَنَهْيُهُ مَرْدُودٌ عَلَيْهِ مِنْ وُجُوهٍ:

---

(١) «شرح الأربعين النووية» للنووي (١١).

أحدها - أنَّ الأَعْمَالَ المشْروعة لا يُنْهَىٰ عَنْهَا خَوْفًا مِنَ الرِّيَاءِ، بَلْ يُؤْمَرُ بِهَا، وبالإخْلاصِ فيها .. فالفَسَادُ في تَرْكِ إِظْهَارِ المَشْرُوعِ أَعْظَمُ مِنَ الفَسَادِ في إِظْهَارِهِ رِيَاء.

الثاني - لأَنَّ الإِنْكَارَ إِنَّمَا يَقعُ عَلَىٰ مَا أَنْكَرَتْهُ الشَّرِيعةُ.

الثالث - إنَّ تَسْويغَ مثْل هَذَا يفضي إلىٰ أنَّ أَهْلَ الشِّرْكِ والفَسَادِ يُنْكرونَ عَلَىٰ أَهْلِ الخَيْرِ والدِّينِ، إذا رَأَوا مَنْ يُظْهِرُ أَمْرًا مشْروعًا، قَالوا: هَذا مُرَاءٍ، فيَتْرُكَ أَهلُ الصِّدْقِ إِظْهَارَ الأمورِ المشْروعةِ؛ حَذَرًا مِنْ لَمزِهِمْ، فيتَعَطَّلُ الخَيْرَ.

الرابع - إنَّ مثْلَ هذَا مِنْ شَعَائِرِ المُنَافِقِينَ، وهو الطَّعْنُ عَلَىٰ مَنْ يُظْهِرُ الأعْمَالَ المَشْرُوعةِ، قَالَ - تَعَالَىٰ - : ﴿ الَّذِين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات

والَّذِين لا يجِدُون إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنهُمْ سَخر اللَّهُ منْهُمْ ولَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٩) ﴾ [التوبة: ٧٩] [١].

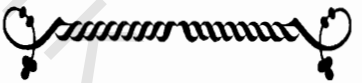

(١) «الفتاوىٰ» (٢٣/ ١٧٤، ١٧٥).

OBEIKAN.COM